

مسجد مدينة القليعة العثمانية - دراسة معمارية أثرية -

يمينة تسكورت

أستاذة مساعدة مؤقتة بالمركز الجامعي .مرسلي عبد الله .تيايزة

الملخص :

إن أهم ما يميز العمارة الدينية منها المساجد الجزائرية خلال الفترة العثمانية هو بناؤها وفق نمطين مختلفين ، أو طرازين ، الأول محلي والتي بنيت به المساجد وفق التقاليد المحلية والتي كانت سائدة قبل الدخول العثماني إليها ، أما الثاني جاء فيه بناء المساجد حسب الطراز الوافد من بلاد العثمانيين بوفودهم إلينا ، فبنيت المساجد في مختلف المدن الجزائرية الكبرى منها والصغيرة ، وقد كان بناءها جامع بين التقاليد المحلية والتأثيرات الوافدة ، كما لاحظنا أن المساجد التي أوجدت بالمدينة الصغرى غالبا ما كانت تبنى وفق التخطيط المحلي وهذا لصغر مساحة المدينة ولقلة عدد سكانها ، ومسجد مدينة القليعة من بينها ، رغم أنه جدد .

- الكلمات المفتاحية : مسجد القليعة ، سيدي علي مبارك ، المساجد العثمانية .

Article Summary:

The most important characteristic of religious architecture, including the Algerian mosques during the Ottoman period, is the construction of two different styles, or two, the first local, in which mosques were built according to the local traditions that prevailed before the Ottoman entry into it. The second was the construction of mosques according to the model coming from the Ottoman Empire. The mosques were built in different Algerian cities, large and small, and the building was a mosque between local traditions and influences. We also noticed that the mosques that were created in smaller cities were often built according to the local planning and this small area of the city and the small number of it, the mosque of the city of Qlaia among them, although it renewed.

Keywords: Mosque of Qulaia, Sidi Ali Mubarak, Ottoman mosques..

مقدمة :

ازدهرت بفضل الأندلسيين سنة 1550 م منطقة تيبازة مدينة سميت القليعة ، وذلك بالقرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي (9هـ/15م) ، وتقع هذه المدينة على المنحدر الجنوبي 6 كلم بعيدا عن الساحل وبارتفاع 120 م ، مكنتها تلك الوضعية الاستراتيجية من مراقبة كل منطقة المتيجة ، إلى جانب قربها من البحر ومصب واد مزفران¹

ويعود معنى اسم المدينة « قليعة » العربي إلى كلمة « الحصن الصغير » أي تصغير لقلعة بمعنى حصن² ، ويرجع اختيار هذه التسمية على الموقع الاستراتيجي الذي كانت تحتله المدينة ، وهذه المدينة نشأت بفضل الأندلسيين الذين وجدوا فيها ملجأ بعد مطاردة الأسبان لهم ، أدخلوا فيها تقنيات فلاحية جديدة ، وأشجار مثمرة عديدة كالرمان و الزعرور البستاني إلى جانب عاداتهم وتقاليدهم ، عرفت المدينة نهاية العهد العثماني نفس مصير جارتها مدينة البليدة التي دمر زلزال عنيف جزءا كبيرا منها سنة 1825 م³ ، هذا ما يسمح لنا بالقول أن البلاد الجزائرية عرفت مع قدوم الأندلسيين نهضة عمرانية وموا سكانيا بحيث تضاعف سكان المدن والفحوص المحيطة بها مثل جهات شرشال وبرشك والقليعة وغيرها ، حتى اعتبرت سهول المتيجة على حق مناطق استيطان وتعمير أندلسي مما أصبح طابعا خاصا على الهجرة الأندلسية إلى الجهات الساحلية من الجزائر أنها حدثت في وقت كانت فيه البلاد تعاني انهيارا ديموغرافيا وانكماشيا بشريا نتج عن اجتياح الأوبئة وتكرار المجاعات واضطراب الأمن منذ أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر الميلادي⁴ ، وقد خصها المقري بالذکر بقوله : « ... وعمروا قراها الحالية وبلادها (أي نواحي تونس) وكذلك بالمتيجة الجزائرية ... »⁵ ، و بالرغم من أن الرومان احتلوا معظم المناطق المجاورة لها غير أنهم لم يدخلوا هذه المدينة ، هذا حسب رأي الكاتب برار Bérard⁶ .

1 - موقع مسجد سيدي علي مبارك وتاريخه :

يقع المعلم بالجهة الجنوبية الشرقية للمدينة ، وتتوسط معظم جهاته الوحدات السكنية من الشمال والشرق والغرب ، كما يتوسط كل من ضريح الولي الصالح سيدي علي بن مبارك والمستشفى من جهة الجنوب .

سمي المسجد نسبة لاسم الولي الصالح « سيدي علي بن مبارك » نسبة لاسم أبيه مبارك أو « سيدي علي مبارك » ، وقد اختلفت الروايات حول أصله ، فمنهم من يرجع أصله إلى قبيلة « الحشم » اللفظة التي مفردها « حشمة » وتطلق في اللغة على الانسان واتباعه وأهله وعبيده وجيرانه وعلى كل من يؤازره عندما تنتابه محنة أو تصيبه مصيبة ، ثم صارت هذه النكرة علما لقبيلة عربية بالمغرب الأوسط ، عمد أهلها إلى ربطها باسم هاشم رغبة منهم في الانتساب إلى

النبي صلى الله عليه وسلم ، بواسطة جده مع أن هناك فرق بين الحاء والحشم والهاء في هاشم لكن الحقيقة كما بينها محمد بن الأمير بن عبد القادر لما قال أنهم أخلاط من قبائل وخدم بني زيان ملوك تلمسان ، عاش بينهم أبوه وجده دون أن يكون منهم وقد ولد على ما قيل عام 954 هـ / 1556 م وتوفي 1040 هـ / 1660 م⁷ ، لكن لا يعلم عن سلفه ولا عن حياته بناحية معسكر ، حيث رحل من هذه الأخيرة حوالي سنة 1009 هـ / 1601 م ، أي في سن 45 من عمره صحبة رفيقين فضل الاستقرار قرب ملبانة على شاطئ الشلف ، أما علي بن مبارك فإن الهدف الوحيد الذي كان يطمح إليه هو العلم ، فنزل بمدينة القليعة لطلب العلم على يد الأساتذة الأندلسيين ، كما عمل كخادم في إحدى الأراضي في نفس الوقت لكسب قوته ، فأصبح من الفقهاء والحكماء في ذلك الوقت ، وقد ذكره أحمد توفيق المديني أنه يعتبر من الفقهاء والحكماء الكبار في ذلك الوقت ، فذاع صيته في سهل المتيجة ، فجاء إليه السكان من مختلف الأماكن لطلب العلم فأسس زاوية للتعليم ، وبفضله اكتسبت مدينة القليعة سمعة وشهرة واسعة وكثر زوارها ، ومن بينهم باشوات مدينة الجزائر وبها كثر نسله وبها كان قبره والذي عرف الآن بضريح سيدي علي مبارك⁸ .

وفي رواية أخرى يرد اسم علي بن مبارك ويذكر أن موطنه الأصلي هو من جنوب مراكش ، وقد هاجر هو ووالديه سيدي مبارك وأمه لالاروبة ، قاصدين مقاطعة الجزائر بغرض الحج إلى مكة المكرمة ، فقد عبروا من وجدة إلى تلمسان فمعسكر ، وفي طريقهم سمعوا عن عالم كبير يشرف على زاوية ، وكان الناس يأتون إليه من كل مناطق العالم ، إما للدراسة أو للإقامة لبعض الوقت للاستفادة من تترك الولي الذي يطلق عليه اسم « سيدي محمد بن علي » وقد كان مفكرا وعالم دين ، يعتبر من أشهر علماء عصره يستشرونه في كل أمورهم ، لما تميز به من الاطلاع ، وقد أسس بالقرب من تنس زاوية شهيرة وكانت من أشهر الزوايا من خلال التعليم الذي كانت تلقنه لطلابها⁹ .

أقام سيدي علي مبارك ووالديه مدة ، وخلال إقامتهم أدرك شيخ الزاوية أن علي مبارك لديه إشارة أو علامة الذكاء والتقوى و ، وقد أخبر والده بأن ابنه سيصبح عالما ، وقد يصح ذو سلطة وطلب منه البقاء لكي يلقنه العلوم الدينية ، قبل الأب عرض العلامة والتزم شيخ الزاوية على تلقين العلوم للشباب علي حتى تكون لديه معرفة كبيرة ويعد مدة قرر سيدي مبارك الرحيل والتوجه نحو مقاطعة الجزائر بعد الاستدعاء الذي وصله ، وفي طريقهم توفي أبوه سيدي مبارك في مكان يدعى عين السلطان في مدينة الشلف ، وقام سكان المدينة بدفنه وطلبوا من سيدي مبارك الاستقرار في المدينة قرب ضريح أبوه غير أنه لم يقبل عرضهم ، وواصل هو وأمه السير بنية الحج إلى مكة ، وعند اقترابهم من ناحية بواسماعيل نواحي القليعة ، أسدى خدمة لتركي يعد من أثرياء المنطقة الذي طلب منه العمل في مزرعته ، حيث لاحظ عليه بعض علامات الفضيلة والتقوى ، فأعفاه من بعض الأعمال ، وقد كان يلقي الاحترام من كل الأشخاص ، وبعد موت أمه ناحية

بواسماعيل قرر الاتجاه إلى القليعة لدراسة العلوم وعلم الأخلاق وفي هذه المدينة أسس الزاوية ، لتصبح بذلك القليعة جامعة للدين يتوجه إليها أكثر من 400 طالب ، يأتون من مختلف الأنحاء ، وقد كان يحث ويرشد الناس إلى تعلم الدين ، توفي سنة 1040هـ / 1630 - 1631 م ، ودفن في زاويته تلك ، وأصبح قبره ضريحا ، يتبرك الناس بزيارتهم له¹⁰

وبعد وفاة الشيخ بني المسجد ، ودليل ذلك ما ورد في كتاب الحاج صادق في قوله : « ولذلك بنو على قبره مسجدا فخما »¹¹ ، ومعنى ذلك أنه بني بعد سنة 1040 هـ / 1630 م واعتمدنا على هذا الاحتمال كون تاريخ التأسيس لم يذكر في أي مصدر أو مرجع ، إضافة إلى أن معظم المساجد الجزائرية التي تعود إلى الفترة العثمانية يرد فيها ذكر اسم المؤسس وكذا تاريخ التأسيس ، بلوحة تأسيسية تخلد اسم المؤسس الموضوع في أماكن مختلفة بالمسجد ، غير أنه هنا بهذا المعلم لم يتم العثور على أي كتابة تدل على مؤسسه سوى الكتابة التي يرد فيها اسم المجدد ، إضافة إلى أنه لم يرد في أي من المراجع ذكر لمؤسسه بل تم الاكتفاء بذكر ان في المدينة مسجدا فقط ، وفي هذه الحالة هناك احتمالين :

- الأول هو أن المسجد تم بناءه من طرف سكان المدينة بمساعدة الأندلسيين الذين سكنوها فلم يضعوا لوحة تأسيسية .
- والثاني هو أن الجزء الذي تم فيه وضع اللوحة التأسيسية تهدم إثر الزلزال الذي تعرضت له المنطقة ، لذلك لم يبق أي أثر مادي يورد تاريخ تأسيس المسجد ومن مؤسسه ، وكون المسجد حاليا معظم أجزاءه مجددة فيجب قبل وصفه ودراسته التطرق إلى :

2- تجديدات المسجد وترميماته :

أعيد بناء المسجد عهد مصطفى باشا ، حسب اللوحة التأسيسية الرخامية ، المستطيلة الشكل بعرض 60 سم وارتفاع 35 سم (أنظر الصورة رقم 01)



الصورة رقم 01 : لوحة تأسيسية لجامع القليعة العتيق

وهي مثبتة عند مدخل بيت الصلاة على الجانب الأيسر ، نقشت بالحفر البارز ، وتمت الكتابة عليها بخط الثلث ، وهي مفصولة بخطين وعلى الجانبين زخرفة على شكل مثلثات بداخلها وريقات ، وهي مقسمة إلى أربعة أسطر ، جاء فيها تاريخ التجديد بالتقويم الهجري وبالأرقام لا بالحروف ، ونصها كالتالي :

وقد أمر بإعادة بناء المسجد بالتجديد وبنائه الراقق المنشأ

كان البر الله والحفظ والرعاية يرجو منك الفوز بما شاء

فسامح واعفو واغفر وتقبل هذا العمل بفضلك عنه لعبدك مصطفى

باشا سنة 1218

وتجديد هذا المسجد يرجع إلى روايتين :

- **الأولى** : في عهد مصطفى باشا بن براهيم الأندلسي ، حفيد الداوي السابق بابا حسن ، ويقال أنه كان أول أمره تاجرا ثم موظفا بسيطا بالقصر ، ثم ارتقى إلى رتبة خزانجي في حكومة خاله الداوي حسن ، ليتولى الحكم بعد وفاة هذا الأخير سنة 1212 هـ / 1798 م ، وذلك الداوي قد اكتسب شهرة كبيرة وواسعة حتى سمي حي بأكمله اليوم بالعاصمة ، وذلك راجع إلى انشائه العديد من القصور والدور الموجودة بأبنائها¹² ، وكان مصرعه سنة 1804 م وإليه يرجع تجديد بناء الجامع وإقامة منارته ، وإنشاء زاوية حول الضريح بعد أن حطمها الزلزال سنة 1217 هـ / 1802 م¹³ .

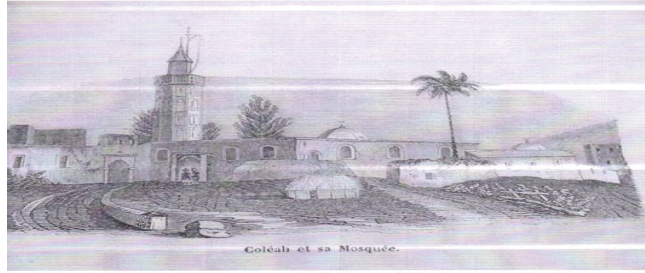
- **الثانية** : عند وقوع زلزال سنة 1825 م في مدينة القليعة قام الداوي مصطفى باشا بتجديده ، وهذا ما لا يتوافق مع الكتابة التأسيسية وفترة حكم الداوي السابق الذكر أي أن المدينة تعرضت لزلزال ثان في عهد آخر دايات الجزائر حسين باشا وقام بإعادة بناء جزء من المدينة بمساعدة الأتراك سنة 1825 م هذا ما يؤكد الأستاذ أحمد توفيق المدني .

والملاحظ أنه لم يرد وصف للمسجد المراجع سواء العربية أو الأجنبية إلا بعض الاشارات إلى أنه يوجد بالمدينة مسجد جميل وجليل حسب ما يقوله الأستاذ أحمد توفيق المدني ، أما بالمراجع الأجنبية فنجد بعض الوصف للمؤلف برار يقول عن المسجد أنه بعد زلزال القليعة أحيط الضريح برواق بذلك ارتفع المسجد عن الضريح وقد خصص جزء من هذا المسجد كمستشفى عسكري ، وكان هذا الأثر صلب بسبب أعمدته الحجرية المقسمة إلى خمسة دعائم ، أما منارته الجميلة والمرتفعة فقد تم ترميمها من طرف فرقة من الطبوغرافيين إثر تدهمها ، أما المؤلف روزيه فيشير أنه بجنوب المدينة يوجد مسجد صغير ومنارة مرتفعة دون ذكر اسم المسجد¹⁴

3 - تقنيات بناء المسجد ومميزاته المعمارية :

أثرت التجديدات التي أحدثت في الجامع بشكل كبير على شكله العام ، لذلك فإن وصف المسجد ودراسته تكون قائمة على أساس تلك التجديدات ، وموقع الجامع بمنطقة بعيدة عن مركز المدينة ، فلا بد من المرور عبر شارع ضيق يحده مجموعة من الوحدات السكنية ، وعند الدخول نحو شارع ضيق في الجهة الشرقية يقابلنا المسجد ، عندما يرى للوهلة الأولى لا يخيل إلى الناظر أنه مسجد قديم يعود إلى الفترة العثمانية باستثناء المئذنة المثلثة التي حافظت على أصالتها .

ويتقدم واجهة المسجد رواق بارز ، وهو مستحدث حسب بعض الروايات لأن هذا المكان ، كانت تتواجد فيه حديقة اعتمادا على بعض الصور القديمة إضافة إلى الصورة الموجودة في كتاب كريزويل والتي تظهر ذلك الجزء عبارة عن طريق وبعض الأشجار على الجوانب (انظر الصورة رقم 02) .



الصورة رقم 02 : إحدى اللوحات المرسومة عن مسجد علي مبارك بمدينة القليعة - عن كريزويل

وقد جاء في بعض المراجع أنه بالقرب من هذا الجامع كانت هناك عين أما الاستاذ نصر الدين سعيدوني في كتابه الحياة الريفية لإقليم مدينة الجزائر ، فيورد أنه بالقرب من الجامع كانت هناك مياضاً ، والأغلب أن هذا الجزء كان عبارة عن صحن ثم أهمل فيما بعد ، وذلك الرواق يقوم على أعمدة أسطوانية يعلوها تاج ذو طراز مغربي ، وقد اتخذ هيئة مربعة تكتنفه زخارف نباتية من أزهار وفروع نباتية وأوراق ، وتلك الأعمدة تحمل عقوداً نصف دائرية ، يلي الرواق المدخل الرئيسي وهو أيضاً مستحدث ، ويعتبر من المداخل البارزة ذات السقف المسطح ، تحمله أربعة أعمدة من النوع المركب تعلوها تيجان ذات طراز مغربي شكلها بسيط يختلف عن شكل التاج الموجود في الرواق ، وتلك التيجان تعلوها عقود من نوعين عقد أمامي مفصص ذو 21 فصاً وهو في واجهة المدخل ، تعلوه زخرفة جصية ، أما على الجانبين فتلك التيجان تعلوها عقد نصف دائري ، وتلك الزخرفة الجصية عبارة عن أنصاف مراوح نخيلية وأوراق نباتية ، يلي ذلك المدخل مدخل

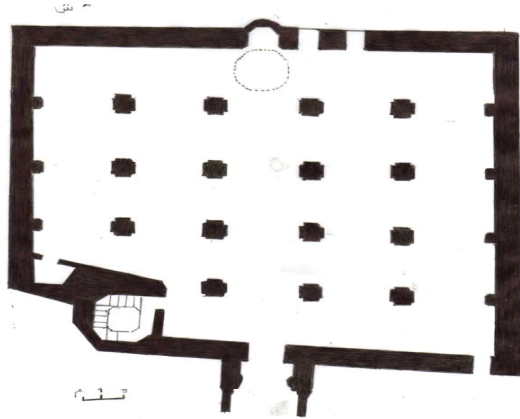
ثان وهو الأصلي ، يكتنفه عمودان على الجانبين وهما من النوع الأسطواني وهو ما يظهر من جزئه العلوي فقط ، لأن الجزء السفلي غطى ببلاطات خزفية مستحدثة تعلوه تيجان من الطراز المغربي وهاذين العمودين يحملان عقدا حذويا .

ونجد على جانبي المدخل دكنتين مقياس الدكانة التي تقع على يسار المدخل ، بارتفاع 63 سم وعمق 50 سم ومقاسات عقدها يشكل مقبض القفة ، كما سماه جورج مارسيه ، العمق 34 سم وارتفاع 60 سم وعرض 77 سم ، أما الدكانة التي تقع على اليمين فارتفاعها 68 سم وعمقها 44 سم ، يعلوها عقد كسابقه ، ونفس مقاسات العمق والعرض ، والفرق الطفيف فقط في الارتفاع ، إذ ارتفاعه 50 سم .

وعنصر الدكتين المعماري هذا هو قليل الاستخدام في المساجد ، وربما لا نجده في معظم المساجد الجزائرية ، وقد تميزت به القصور أكثر ، وعادة ما يستعمل هذا العنصر المعماري كمكان لاستراحة الضيوف وغالبا ما يكون عند المدخل أو في سقائف المنازل وربما وجد في هذا المسجد كذلك لغرض الاستراحة .

وكما سلف الذكر بالمسجد مدخلين ، الرئيسي منه مخصص للرجال وهو يؤدي إلى بيت الصلاة ، بمقاسات بابه الطول 3 م والعرض 1.73 م ، والمدخل الآخر بمصرعين على الجهة الجنوبية ، وهو مخصص للنساء يؤدي مباشرة إلى السدة وهو مستحدث ، بنفس مقاسات الباب الرئيسي .

أما بيت الصلاة فطوله 20 م وعرضه 17 م ، بمخطط غير منتظم بسبب التجديدات الكثيرة التي أجريت عليه ، والظاهر أنه كان يتخذ الشكل المربع بالتقريب ، عدد الأساكيب والبلاطات خمسة (أنظر المخطط رقم 01)



المخطط رقم 01 : بيت الصلاة بجامع القليعة - من إنجاز الطالبة -

وتلك البلاطات و الأسايب تقوم على دعامات مضلعة تعلوها العقود من النوع المتجاوز المنكسر ، وهذ الدعامات والعقود تحمل السقف من النوع المسنم ، فالمسجد يقوم مخططه وفق الطراز المحلي ، والعقود التي توازي جدار القبلة أكثر اتساعا من العقود التي جاءت متعامدة مع الجدار ، وهذا راجع ربما إلى الطريقة المستخدمة لبناء السقف (أنظر الصورة رقم 03) .



الصورة رقم 03 : العقود الموازية لجدار القبلة بجامع القليعة

اتخذ محراب المسجد الذي توسط جدار القبلة الشكل المضلع ، بعمق 1 م ، وارتفاع 1.82 م ، يكتنفه عمودان مدمجان ، اتخذ كل منهم الشكل المركب ، يعلوه عقد المحراب النصف دائري ، كما أن المحراب نفسه اتخذت تجويفته الشكل المضلع .

والملاحظ أيضا هو أن المحراب يتقدمه قبة مضلعة محمولة على أربعة عقود من النوع المتجاوز المنكسر ، وهي محمولة على أربع أعمدة ، والقبة تقوم على حنايا ركنية كل حنية تتخذ شكل المحارة في أسفلها زخرفة عبارة عن ثلاث شجرات سرو أو سطها أكبرها ، وبين كل محارتين هناك عقد من النوع المفصص وفي أسفله نجد زخرفة هي كذلك اتخذت شكل شجرة السرو وبين كل العقد والمحارة نشاهد في الأعلى شكل دائرة بداخلها زهرة من سبع أوراق ، وتتميز هذه القبة بالبساطة .

أما المنبر فهو على يمين المحراب من النوع الخشبي ، وهو مستحدث .

كما في الجدار الجنوبي من المسجد على طول البلاطة حتى مؤخر المسجد ، تقوم السدة على ألواح خشبية ، ويتم الصعود إليها عبر بابا فتح داخل بيت الصلاة ، وهذا الباب بجانبه المدخل الثانوي بحيث يفتح مباشرة على باب السدة من قبل تتموضع داخل بيت الصلاة ، لكن في السنوات الأخيرة رفعت بألواح خشبية حسب بعض الروايات بطول 14 م وعرض 4 م .

ونجد بيت الصلاة نوافذ عدة ، نافذتين بجدار القبلة ، واحدة على يمين المحراب وأخرى على يساره ، وهذه الأخيرة هي نافذة الغرفة التي اتخذت الآن كمقصورة الإمام ، التي كانت تستعمل كغرفة للتمريض خلال الفترة الفرنسية الاستعمارية ، وبالجدار الشمالي نافذتين نجد نافذتين ، وهناك نافذة في الحجرة المجاورة للمئذنة يعلوها عقد نصف دائري .

واحتوى بيت الصلاة على عدد من الأبواب والغرف باب لمقصورة الإمام ، والتي سبق وأن ذكرناها آنفاً ، وباب السدة ، وباب غرفة المئذنة ، وباب الحجرة التي ينطلق منها درج المئذنة ، أما الغرف الثلاث : غرفة المقصورة والغرفة المجاورة للمئذنة فالعرض بها 1.83 م ارتفاع 1.90 م ، التي كانت في السابق مقصورة حسب بعض الروايات ، وهي تتخذ الشكل المربع بالتقريب يكتنفها من الجانبين خزنة جدارية ، وهذا العنصر المعماري استخدم بكثرة في المنازل ، يعلوها عقد مقبض القفة ، كما أوجدت حجرة مؤدية إلى المئذنة

تلك الأخيرة تقع بالزاوية الشمالية الشرقية ، وهي مدمجة مع بجدار مؤخر بيت الصلاة ، وهي مثمثة الشكل ، يتم الصعود إليها من بيت الصلاة عبر باب فتح في هذه الأخير بعرض 85 سم وارتفاع 3 م .

احتوى هذا المسجد على مدخلين :

-الأول: مستحدث وقد جاء بارزا ، يقوم على أربعة اعمدة مركبة ، تعلوها تيجان ذات الطراز المغربي ، وهي بدورها (الأعمدة) تحمل أربعة عقود من النوع النصف دائري بكل من الجهتين الجنوبية والشمالية ، وعقد مفصص عند الواجهة ، ليعلو تلك الأعمدة سقف مستوي .

-الثاني: وهو الأصلي (أنظر الصورة رقم 04)

ويؤدي هذا المدخل إلى بيت الصلاة ، وهو بمصراعين خشبيين حديثين ، بارتفاع 3.89 م وعرض 1.73 م ، يكتنفه عمودان من النوع الأسطواني ، تعلوه تيجان ذات طراز مغربي أندلسي ، ليحمل ذاك العمود عقد حذوي ، كما هناك كمدخل آخر فتح في الجدار الغربي وهو ثانوي مستحدث ، وهو يؤدي إلى باب السدة مباشرة ، بارتفاع قدره 3.89 م وعرض 1.73 م ، ويتوسط محراب مسجد سيدي علي مبارك جدار القبلة (أنظر الصورة رقم 05)



الصورة رقم 04 : المدخل الأصلي لجامع القليعة . الصورة رقم 05 : محراب جامع القليعة

واتخذ شكله المستطيل ارتفاع قدره 1.82 م وعرض 1.70 م وعمق 1 م ، ، يتوجه عقد نصف دائري ، ويكتنفه عمودان مدمجان على الجانبين ، الجزء السفلي منه مجدد يبدو شكله من الوهلة الأولى أنه مضلع ، أما جزؤه العلوي فهو عبارة عن أعمدة حلزونية الشكل طوله 1.58 م ، يعلوه تاج ذو طراز مغربي ، ارتفاعه 26 سم

والملاحظ أيضا أن هذا المحراب قد كسي ببلاطات خزفية مستحدثة ، كما وتعلوه ثلاث نوافذ ، والغالب أنها كانت عبارة عن شمسيات مخرمة ، لتستبد فيما بعد بفتحات صغيرة ، ذات الشكل المستطيل طويلا ، ومن ثم أغلقت بالزجاج .

تحتل مئذنة هذا المسجد الزاوية الشمالية الشرقية من بيت الصلاة ، ويتم الدخول إليها من بيت الصلاة ، فقد فتحت باب داخل قاعة الصلاة في البلاطة الأخيرة العمودية لجدار القبلة ، الذي تنطلق منه القاعدة ودرج المئذنة وعددها 51 درجة ، لتظهر المئذنة من الخارج وكأنها مبنية مع جدار المسجد ، وصخرة في بناءها مادتي الحجر والطوب ، وهي وتعتبر العنصر المعماري الوحيد الذي حافظ على أصالته بمسجد سيدي علي بن مبارك (أنظر الصورة رقم 06)



الصورة رقم 06 : منظر لواجهة مئذنة جامع القليعة المطللة على السطح .

وهي تنقسم إلى قسمين :

- القسم الأول : تتواجد فيه القاعدة المثلثة ومنطلق الدرج ، وقد جاء هذا القسم مدمجا مع جدار المسجد .

- القسم الثاني: ومنطلق حيزه من الباب التي فتحت في سطح المسجد ، إلى بدنها الذي اتخذ الشكل المثلث وهو يحتوي على فتحات أوجدت لغرض الإضاءة ، وهي شبيهة بالمزاعل كونها جاءت ضيقة من الداخل وأكثر اتساعا من الخارج .

وهذا النوع من المآذن لم يكن سائدا في الجزائر ، إذ كانت تتخذ الشكل المربع ، الطراز الذي ساد بلاد المغرب الاسلامي والأندلس ، وبذلك فإن المآذن ذات القاعدة المثلثة ظهر بالجزائر خلال الفترة العثمانية ، فقد تميزت به مختلف مآذن المساجد في المدن الكبرى على غرار مآذن كل من جامع صفر ، وجامع سيدي لخضر ، و جامع عين البيضاء ، وجامع الباشا¹⁵ .

وقد زين كل ضلع من أضلاع مئذنة جامع سيدي علي مبارك بعقود نصف دائرية مفصصة ب خمسة عشرة فصا ، وعقود بشكل مقبض القفة ، بحيث يشغل كل ضلع من المئذنة عقد مفصص كبير الحجم ، يعلوه عقدين صغيرين من عقد مقبض القفة بنفس حجم العقد المفصص بفصين ، وطلبت تلك العقود بلون أزرق فاتح ، ويفصل بين نوعي العقود بلاطات متناوبة في الزخرفة ، نجد أربع تجميعات من البلاطات المربعة ، قوام زخارفها عناصر هندسية ونباتية ، كما تكونت البلاطة الثانية هي أيضا من أربع تجميعات من البلاطات ذات الزخرفة النباتية .

ونجد بنهاية بدن المئذنة شرفة بارزة بإفريز ، متخذة نفس شكل بدن المئذنة المضلع ، تتخلل هذه الشرفة صفين من الفتحات ، تكون الصف الأول منها على خمسة فتحات ، والصف الثاني

على ست فتحات ن وبين هذين الصفيين بلاطات خزفية مثيلة المتواجدة ببدن المئذنة ، وقد جاءت هذه الفتحات على شكل مزاعل ، هذه الأخيرة كانت تستخدم للقذف ، وضعت في كل ضلع من أضلع المئذنة على صفيين ، الصف الأول جاء بخمس فتحات ، أما بالصف الثاني جاء بست فتحات ، ويفصل بين هذين الصفيين بلاطات خزفية في كل أضلاع المئذنة .

أخذ جوسق المئذنة الشكل المضلع ، ونجد على طول كل ضلع من أضلاعه صفا من البلاطات الخزفية ، تعلوه قبة مضلعة أعلاها نجمة خماسية وهلال ، لكن في إحدى الصر القديمة يظهر أنه قد اتخذ الشكل المثلث مثل المئذنة ، غير أن بدنه يظهر أطول من البدن الحالي ، تعلوه قبة مضلعة على هيئة قلمية تعلوها تفاحات وهلال (أنظر الشكل رقم 03) ، وهذا الشكل لم يعد موجودا ، والقبة اتخذت الشكل المضلع و عوض التفاحات والهلال بنجمة وهلال ، هذا دال على أن هذا الجزء من المئذنة من الأجزاء التي استحدثت .

ظهرت القبة كنوع من التسقيف في عمارة المساجد العثمانية ، بعدما اهتدى المهندس سنان باشا إلى طريقة تقلل من الأعمدة وتعوضها قبة كبيرة تغطي بيت الصلاة وأنصاف قباب على الجوانب ، وظهر ذلك في بنائه للقبة الضخمة والتي جاءت أكبر من قبة آيا صوفيا حيث توافقت ضخامة القبة مع مساحة المسجد الكبيرة في الداخل ، فالتخطيط الذي تضمن إقامة قبة كبيرة تركز على قاعدة مثمثة محمولة على ثماني دعائم يعتبر طراز جديد ومبتكر في عمارة المساجد ، وهذا التخطيط أصبح الأسلوب الأمثل الذي بنيت عليه مختلف المساجد في الدولة العثمانية ، وانتقل هذا النوع من التسقيف في البلدان التي كانت تحت حكم العثمانيين¹⁶ ، ويظهر ذلك جليا في مساجد الجزائر التي تعود لفترة التواجد العثماني بها ، كجامع الجديد وجامع علي بيتشين وغيرها .

وقد احتوى جامع سيدي علي مبارك على قبة وحيدة (أنظر الصورة رقم 07 و الصورة رقم 08)



الصورة رقم 08 : قبة جامع



الصورة رقم 07 : قبة جامع القليعة من الخارج
القليعة من الداخل .

وهي تتقدم المحراب ، شبيهة بذلك النوع ، قبة جامع سيدي لخضر والجامع الكبير بمعسكر¹⁷ ، وقد قدر ارتفاع الضلع قبة مسجد مدينة القليعة ب 2.60 م ، وهي تقوم على رقبة مربعة محمولة على أربعة عقود وهذه الأخيرة تقوم بدورها على أربع دعامات ، أما منطقة الانتقال بين الرقبة والقبة المثلثة إلى الدائرة فقد استعملت حنايا ركنية تشغل كل ركن من أركان القبة على هيئة محارة وفي أسفل هذه المحارة نجد زخرفة على هيئة شجرة السرو وبين الحنيتين نجد عقدا مفصصا ، وفي أسفل العقد نجد كذلك شجرة سرو وفي الأعلى بين الحنية والعقد نجد زخرفة بسيطة في زخرفتها باستثناء تلك الزخارف البسيطة السابقة الذكر كما تحوي رقبة القبة أربعة فتحات وهي مربعة الشكل طولها 70سم وعرضها 55 سم .

وجدنا العقد النصف الدائري عند المدخل محمول على أعمدة مركبة وأعلى المحراب ، كما استخدم في الرواق الخارجي المستحدث (أنظر الصورة رقم 09) ، كما يعلو احدى نوافذ المسجد . وأوجد العقد المنكسر بالجدار الداخلي الذي يصعد منه إلى المئذنة ، وهي عبارة عن حنية غائرة اتخذت شكل العقد المنكسر ، وعقود النوافذ جميعها مستحدثة حيث جاءت مستقيمة ، وهناك العقد المنكسر الذي يعلو نافذة الغرفة المجاورة للمئذنة ، وهو العقد الوحيد الذي يظهر أنه حافظ على شكله الأصلي ، كما وجدنا عقد منكسر متجاوز ببيت الصلاة (أنظر الصورة رقم 10)



الصورة رقم 09 : عقود الرواق الخارجي لجامع القليعة .
الصورة رقم 10 : عقود بيت الصلاة بجامع القليعة

و أخرى نفس الشكل تحمل القبة ، حيث تحمل كل بائكة خمسة عقود منها ، وعدد البوائك أربعة وعند المدخل على الجانبين ، ويظهر أن هذا النوع من العقود استعمل أكثر من الأنواع الأخرى (أنظر الصورة رقم 11)



الصورة رقم 11 : أحد العقود التي تعلو الدكانة عند مدخل جامع القليعة .

أما بالنسبة للعقد الحدوي فأوجد بوضع واحد ، وهو مدخل بيت الصلاة ، إضافة إلى العقود الصماء والتي من أهم أنواعها العقود المفصصة ، والتي وجدنا عقدين في كل ضلع من أضلاع مئذنة هذا المسجد الجامع (أنظر الصورة رقم 06) ، أما عدد فصوص كل عقد هو خمسة عشر فص .

كما وجدناه بين الحنيتين في رقة القبة وفي مدخل المسجد ، الأول يتكون من اثني عشرة فصا ، أما الثاني فيتكون من واحد وعشرين فصا ، وجدنا نوع آخر من العقود الصماء ، والتي ظهرت في المسجد ، وهذا النوع اختلف في تسميته فهناك من يطلق عليه اسم عقد مقبض القفة .

بحيث تبدو فيه قاعدة العقد متجاوزة القسم الأفقي ، الأعلى أكثر بروزا ، وطرفيه تصعد إلى الأعلى بطريقة منفرجة ومائلة ، وفي منطقة الوسط تكون بارزة¹⁷ ، كما اتخذ اسم العقد الاهليجي¹⁸ ، كما أعطى له الأستاذ رشيد بورويبة اسم العقد المستعرض ليوافقه في ذلك الأستاذ رشيد دوکالي الذي يرجع ظهوره في العمارة الجزائرية إلى القرن السادس عشر الميلادي¹⁹ ، كما عرف باسم العقد الجزائري في بعض المراجع ، ليبقى من مميزات العمارة الجزائرية والتي تميزت به دون سواها ، إذ نجده في أماكن محددة وتكون في مقاعد السقيفات الصغرى والكبرى ، وفي الخزانات الجدارية ومقاعد الدكانات²⁰ ، لكن الملاحظ من أن هذا النوع من العقود ليس شائعا في المساجد الجزائرية التي تعود للفترة العثمانية ، وإنما تميزت به العمارة المدنية خاصة ، وقد وجد بمسجد سيدي علي مبارك كعقد أصم أعلى الدكانتين عند مدخل بيت الصلاة ، وفي الغرفة المجاورة للمئذنة في الجهتين اليمنى واليسرى ، وجاءا متقابلين أعلى الخزانيتين بين العقدين ذو الفصوص ، بحيث يشكل عقدين صغيرين فوق العقد المفصص ، وعددها أربعة في كل ضلع ، وقد جاءت هذه العقود على نوعين بفص واحد و بفصين ، وجاءت أعمدة المسجد نوعين منها :

- النوع الأول : وهي الأعمدة المركبة ، ونجدها في العمودين اللذين يكتنفان المحراب ، غير أن

القاعدة لا تظهر ، وقدر ارتفاع كلا منهما ب 1.83 م ، كما جاءت اعمدة المدخل البارز المستحدث والتي تحمل السقف المستوي من النوع المركب كذلك (أنظر الصورة رقم 12) وارتفاعه 1.70 م ، وعددها أربعة .

- النوع الثاني: وشملت الأعمدة الأسطوانية ، والتي وجدناها بجزء من بدن العمودين اللذان يكتنفان المدخل الأصلي ، والذي ارتفاعه 1.70 م ، وارتفاع قاعدته 5 سم ، وهذا النوع يظهر من خلال الجزء العلوي فقط لأن جزأه السفلي جاء على هيئة مضلعة وهو مستحدث ، وكذا أعمدة الرواق الخارجي الستة اسطوانية الشكل ، وارتفاعها 1.50 م (أنظر الصورة رقم 13) ، أما قواعد هاته الأعمدة فقد جاءت مثمثة ، وهي من مادة الحجر الجيري



الصورة رقم 12 : أعمدة مدخل جامع القليعة الأصلي وتيجانها . الصورة رقم 13 :
أحد أعمدة الرواق الخارجي الستة بجامع القليعة

أما التيجان فقد وجد نوع واحد منها ب هذا الجامع ، وهو ذو نمط أندلسي مغربي ، حيث جاء بنوعين:

- النوع الأول : ذو شكل بسيط في زخرفته (أنظر الصورة رقم 12)

حيث اتخذت تيجان الأعمدة زخرفة على هيئة مراوح نخيلية تصعد على طول بدن التاج ، وفي كل ركن من أركانه جاءت ملفوفة أو معكوفة ، لتصبح أكثر بروزا ، وذلك البروز يظهر في الأركان الأربعة ، واستخدم هذا النوع عند تيجان أعمدة المدخل بارتفاع 30سم ، وأعلى أعمدة المحراب وارتفاعها 25 سم ، والملاحظ أن هذا النوع من التيجان هو الأصلي .

- النوع الثاني : وشمل النوع المستحدث ، لأننا وجدناه بأعمدة مدخل المسجد المستحدث (أنظر الصورة رقم 13)

كما تتوزع الدعامات بالمسجد على كامل بيت الصلاة ، وهي مثمثة الشكل ، وعددها خمسة عشرة دعامة ، واتخذت قاعدتها نفس شكل البدن بسمك 0.60 سم وارتفاع 2.47 م ، وتقوم عليها العقود مباشرة (أنظر الصورة رقم 14) ، أما دعامات جدران بيت الصلاة ، فبالجدار الجنوبي نجد أربع دعامات ، وثلاث بالجدار الشمالي ، ومرد هذا الاختلاف في عدد الدعامات إلى أن الجامع غير منتظم التخطيط ، إضافة إلى الغلاف والأبواب التي تم فتحها بالجدار المقابل لجدار القبلة .



الصورة رقم 14 : دعامات بيت صلاة جامع القليعة .

وتم تغطية جامع سيدي علي مبارك بسقف من النوع الجملوني أو المسنم لكنه عوض أو جدد بالمسطح ، فجاء سقف المبنى على شكل سنام مائل من طرفيه لجأ إليه البناؤون في البلاد الممطرة أو المثلجة لتغطية الأبنية في الشام في أروقة المسجد الأموي وبلاد آسيا الصغرى وإيران²¹ ، وهذا النوع من التسقيف كما أسلفنا ، كان دائما مرتبطا بالأماكن المثلجة والممطرة وربما كانت منطقة القليعة تتميز بهذا النوع من المناخ فتم بناء هذا السقف بذاك الشكل .

لكن هناك احتمال وهو أنه قد يكون مجددا خاصة إذا علمنا أن المنطقة تعرضت لزلزال فمن المنطق أن يكون قد أتى على بعض من أجزاء السقف ، فاستبدل بهذا النوع من التسقيف ، لأن الكاتب برار يذكر أن الفرنسيين بعد استقرارهم في المدينة أكملوا بناءها والتي لم تتم في عهد مصطفى باشا ، والأصح في عهد حسين باشا ، والكاتب هنا أرجع فترة حكم حسين باشا إلى مصطفى باشا ، ولكن ذكر أن المسجد أكمل في العهد الفرنسي ، غير أنه لم يحدد العنصر الذي تم بناؤها وعلى الأغلب كان عبارة عن سقف مسطح بني من أخشاب الصنوبر لأن المنطقة كانت معروفة بالأشجار ، إضافة إلى الطابية وهاتين المادتين موجودتان في المسجد لحد الآن فمادة الخشب استعملت كنوع من التسقيف في الغرفة المجاورة للمئذنة .

كما وجدت في بناء الجدران الداخلية للمئذنة إضافة إلى مادة الطابية ، فمن خلال ذلك يمكن للهاتين المادتين ان تكونا قد استخدمتا في التسقيف .

أما التسقيف الجملوني فيكون قد استخدم لاحقا وليس أصليا ، ومادة بنائه تكون من الأحجار

المسمنة ، وهذه الحجارة غير مصقولة ، على شكل سنام البعير ، وهو أيضا الحجر المنفور السطح الذي تظهر عليه كتل صغيرة بارزة ، وقد شاع استخدامه في العصرين الفاطمي والأيوبي²² ، وقد وجد هذا النوع من التسقيف ببعض مساجد الجزائر التي ترجع إلى الفترة العثمانية ، ومنها الجامع الكبير بمعسكر ، حيث اتخذ هذا المسجد التسقيف الجملون²³ .

أما النوافذ ومفردتها نافذة وهي صفة للطاقة ، إذا كانت تخترق الحائط من جانب إلى آخر فالطاقات على نوعين : صماء للزخرفة أو لحفظ المتاع والأدوات والتحف وعرضها ، ونافذة للتهوية والإضاءة أو الاشراف على الخارج ، وقد تكون ضيقة من الداخل واسعة من الخارج في القلاع والحصون والقصور والمساجد²⁴ ، فقد احتوى مسجد سيدي علي مبارك على العديد منها ، أغلبها مستحدثة ، فوجد نافذتين في جدار القبلة واحدة على يمين المحراب فتحت في الغرفة المستحدثة والتي اتخذت اليوم كمقصورة للإمام ، وأخرى على يسار المحراب ، كما نجد نافذتين في جدار الشمالي ، كما هناك نافذة بالغرفة المجاورة للمئذنة ، وهي صغيرة الحجم يعلوها عقد نصف دائري على خلاف نوافذ المسجد ، ونافذة أخرى بالجدار المقابل لجدار القبلة ، أما الجدار الجنوبي فهناك نافذة أخرى يعلوها عقد نصف دائري لكن لا تظهر بسبب ارتفاع السدة في تلك الجهة ، والأغلب أن هذه النافذة هي تابعة للغرفة المجاورة للمئذنة ، وهما أصيلتان ويرجع ذلك إلى العقد الذي يعلو هاتين النافذتين بخلاف النوافذ الأخرى التي فتحت في المسجد ، وهي متقاربة الطول من 1.80 أو 1.90 م ، وعرض قدر ب 1.30 م

إن استخدام مواد البناء من عصر إلى عصر ، وظهرت مواد جديدة لم تكن معروفة من قبل ، وكل منطقة تتميز باستخدام نوع معين دون الأخرى ، حسب توفر المادة في تلك المنطقة وجاءت في هذا المسجد مادة الحجارة بكثرة ، إذ نجدها تقريبا في معظم العناصر المعمارية التي تكونه ، فبنيت بها دعائم بيت الصلاة وأعمدة المداخل والرواق الخارجي ، كما استعمل في بناء جدران المسجد والمئذنة .

على خلاف المساجد الجزائرية التي تعود إلى الفترة العثمانية فإن مادة الرخام لم تستعمل إلا كلوحة تأسيسية بمسجد سيدي علي بن مبارك ، والتي نجدها عند المدخل ، أما بقية العناصر فلم تستخدم فيها هذه المادة بالرغم من أن المدينة تقع بالقرب من بعض المدن التي تتواجد بها مقالع الرخام ، كمحجر شنوة بالقرب من مدينة تيبازة ، ومن محجر برج البحري بمدينة الجزائر²⁵ ، إذ يسهل نقلها لقربها من منطقة القليعة ، غير أنها لم تستخدم في المسجد ، والملاحظ أيضا أنه إضافة إلى هذا المسجد فمعظم منازل مدينة القليعة لم تستعمل فيها هذه المادة ويظهر ذلك من خلال أطر المنازل ، وهذا ربما راجع إلى أن المدينة ليست من المدن الكبرى التي عادة ما يستخدم في بنائها أثمن المواد بالرغم من الشهرة التي كانت تتمتع بها ، كما استخدم القرميد في مسجد القليعة بسطحه لتجنب تجمع مياه الأمطار به .

واستعملت هذه المادة على نطاق واسع في مختلف المباني ، وتعتبر من أكثر المواد توفرا

، وهذا ما أدى إلى تطورها في أعمال النجارة ، حيث تنوعت استخداماتها في مختلف الفنون في العالم الاسلامي ، واستعملت هذه الفنون في صناعة كافة المنتجات الخشبية سواء كان منها ثابتا كالأسقف والأبواب والنوافذ والمشربيات ، أو منقولا كالمنابر والمحاريب وكراسي المقرئين والصناديق²⁶ ، ذلك لتوفر الأشجار والغابات بالجزائر ، التي أمدتهم بتلك المادة .

و نضرا لأعمال الترميم الكثيرة التي أجريت على هذا المسجد فإن التقنية المتبعة في بناء جدرانه غير ظاهرة ، فيمكننا إدراج ذلك من خلال التقنية المتعارف عليها والتي استخدمت في مختلف العمائر ، وهي وضع مادة البناء سواء كانت من الأجر أو الحجارة أو الطوب في صفوف أفقية على شكل طبقات تسمى مداميك تربط بينها طبقة من الملاط ، وترتب القطع بحيث لا تقع المفاصل العمودية بين القطعة والأخرى فوق بعضها ، ولهذا الترتيب المتعرج أهمية كبرى في توزيع الضغط على مساحة أكبر²⁷ .

أما ما خص جدران المئذنة فتظهر بعض مواد البناء منها الطوب والألواح والأحجار وقد يكون هذه المادة باستخدام مادة الطابية ، وقد ذكرنا أنفا ما ذكره ابن خلدون عن هذه التقنية²⁸ .

إضافة إلى تقنية بناء السقف فهي بطريقتين :

- الأولى : وهي بالسقف المسطح ، إذ يتم بها مد الأخشاب الصالحة للتسقيف على حائط المبنى ، ومن فوقها الألواح كذلك موصولة بالدساتير ، ويصب عليها التراب حتى تتداخل المادتان²⁹ ، وقد وجد هذا النوع من التسقيف بالحجارة المجاورة للمئذنة ، حيث ظهرت الألواح الخشبية كسقف بتلك الحجرة .

وما لاحظناه هو أن الأخشاب التي بنيت بها دران المئذنة قد تآكلت ويظهر عليها تلف ، أما الروافد الخشبية التي بني بها سقف الحجرة لا يظهر عليها أي تأثير من تآكل أو تلف للمادة الخشبية ، ما يدل على أن نوع الخشب المستخدم ليس واحد وإنما استخدم خشب الصنوبر والمعروف بتوفره بالمنطقة ، والأرجح أنه استخدم في بناء المئذنة .

- الثانية: والخاصة بالسقف الجملوني الذي استخدم أيضا في تسقيف المسجد ، لكن طريقة بنائه والمواد المكونة له غير ظاهرة ، فهناك احتمالان : إما أن استخدمت الأحجار المسنمة ، فقد اتخذت سقف المسجد هذا الشكل ، أو استخدمت الألواح الخشبية بطريقة اتخذت هذا الشكل وعلى جوانب السطح ، والاحتمال الثاني هو أن سطح المسجد في الأصل كان مسطحا وتم استبداله بسبب أضرار وهما : وجود قرميد بالسطح لمنع تجمع مياه المطار ، إضافة إلى الزلازل المتكررة على المنطقة وكذا التجديدات التي عرفها المسجد خلال الفترة الاستعمارية ، لذى من الممكن أنه استبدل السقف المسطح بالسقف الجملوني .

4 - زخارف مسجد سيدي علي مبارك :

أوجدت بمسجد سيدي علي مبارك الجامع مادتين للزخرفة وهما الجص والبلاطات الخزفية

التي توجد على طول أضلاع المئذنة .

فالجبص أو القصة أو الجبس بالعامية ، هو من مواد البناء إذا استعمل حجارة ، إذا تم تعريضها للحرارة في أماكن خاصة تسمى جصاصات ، ومادة تزيينية إذا أذيب مسحوقا في الماء ، لتطلى به الأبنية من الداخل والخارج ، ومن أخلاطه : الصمغ والكلس ومساحيق الرخام أو قشر البيض ، إذ يصب لزجا في قوالب وتغطى به الجدران والأسقف بعد اكتمال جفافه³⁰ ، كما يعتبر من أهم المواد التي تتم عليها الزخرفة ، لقول ابن خلدون في ذلك : «...صنائع البناء ما يرجع إلى التنميق والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يخمر بالماء ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريما بمثقاب الحديد إلى أن يبقى له رونقا »³¹ .

استعمل بالجزائر خاصة في العهد العثماني كعنصر بناء وزخرفة ، فنجده بالجدران الداخلية للعقود والقباب والأماكن المقفلة للنوافذ في أطر المحراب ، كما نجده يستخدم كعنصر معماري تبني به الشمسيات³² ، ونجده بمسجد سيدي علي مبارك بإطار المدخل ، وهي زخرفة جصية ، عبارة عن أصناف مراوح نخيلية وأوراق (أنظر الصورة رقم 16) ، كما نجده في القبة حيث شكلت منه زخارف بسيطة عبارة عن محارات وعقود مفصصة .

أما البلاطات الخزفية يكاد المسجد ينعدم منها باستثناء البلاطات التي تزين أضلاع المئذنة ولا نعلم إن كان المسجد انعدمت فيه الكسوة الجدارية أثناء البناء أم الزلازل المتعاقبة على المدينة أثرت في جدرانه فتم فقدانها لأن ضريح سيدي علي مبارك الملاصق للمسجد ، لا زال لحد الآن محافظا على كسوته الخزفية ، غير أن الواضح من الصفة الحالية للمسجد يظهر أنه تعرض لعملية الترميم على مختلف أجزاء المسجد باستثناء المئذنة التي بقيت محافظة على تلك البلاطات ، ومن خلال ذلك وجدنا نوعين من البلاطات الخزفية .

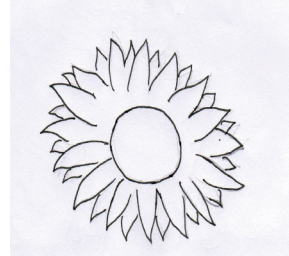
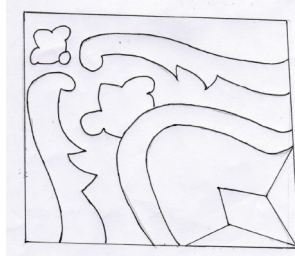
- النوع الأول : عبارة عن أربع تجمعات من البلاطات (أنظر الصورة رقم 17)



الصورة رقم 16 : الزخرفة الجصية بإطار مدخل مسجد القليعة . الصورة رقم 17 : البلاطات الخزفية المزينة لمئذنة جامع القليعة .

مقاساتها 13×13 سم ، وفي كل بلاطة نجد زهرة في مركز كل بلاطة (أنظر الشكل رقم 01) ، وهي عبارة عن دائرة ذات اللون الأزرق الفاتح تشع منها أوراق ، وهذه الأوراق رسمت بطريقة أظهرت بها ظلال وهذه الزهرة هي عباد الشمس ، وقد رسمت بطريقة محورة جاءت بتلالها باللون البنفسجي المتدرج ، ويظهر بعضا من اللون الأبيض ويرجح أنه لون البطانة وقد لونت هذه البتلات بطريقة تظهر فيها ظلال هذه البتلات وجاءت باللون الأسود ، ويمكن ارجاع هذا النوع من البلاطات إلى تونس من خلال العناصر الزخرفية .

- النوع الثاني: عبارة عن أربع تجمعات من البلاطات المربعة بنفس مقاسات الأولى 13×13 سم ، اشتملت على عناصر هندسية ونباتية (أنظر الشكل رقم 02)



الشكل رقم 01: زهرة عباد الشمس
الشكل رقم 02: نجمة ثمانية تحيط بها أوراق نباتية وعناصر هندسية

أما الهندسية فتصميمها العام عبارة عن نجمة مركزية تشكلت من مربع على نجمة في كل ركن من أركان البلاطة ، وعند تجميع البلاطات الأربع نحصل على نجمة ثمانية في المركز ، ينطلق من أركان أضلاعها خيطان مقوسان ، أما الخط الأول فقد جاء مزدوج والمساحة الفاصلة بينهما لونت باللون البني يعلوه خط مقوس آخر ، والمساحة بين الخط المزدوج الأول وهذا الخط لونت باللون الأصفر والمساحة بين هذين الخطين ليست كبيرة ، وقد لونت باللون الأصفر ، ليصل هاذين الخطين إلى ركن آخر من أضلاع هذه النجمة ، وذلك يتكرر في كل بلاطة من البلاطات الأربع ، وبين هذين الخطين والنجمة مساحة طليت باللون الأزرق الغامق ، وفوق هذين الخطين في كل ركن من أركانها نجد ورقة ثلاثية الفصوص اتخذت اللون الأزرق ، وقد جاء متدرجا بين الغامق والفاتح ، يلي هذه التقوسات زخرفة نباتية على هيئة أنصاف مراوح نخيلية حلزونية الأطراف على طول حواف هذه التجميعات ، وقد جاءت باللون الأصفر وفي حوافها يظهر اللون البرتقالي ، وعند التقاء المراوح النخيلية عند الأركان نجد ورقة ثلاثية الفصوص تشبه سابقتها ، ولكن بحجم أصغر ، وهذه الورقة تحملها دائرة صغيرة في الأسفل ، وقد اتخذت اللون الأزرق الفاتح ، وهذه الزخرفة كلها جاءت مرسومة على بطانة بيضاء ، ويرجع هذا النوع إلى البلاطات المجلوبة من إيطاليا ،

حيث اشتهرت بهذا النوع من طريقة الزخرفة والجمع بين العناصر الهندسية والنباتية والمراوح النخيلية واستخدامها لألوان متعددة أهمها الأصفر والأزرق والبرتقالي .

وبالرغم من أن المسجد يفتقر للعناصر الزخرفية ، غير أننا نجد بعض العناصر التي يمكن تصنيفها كمواضيع زخرفية ، وهي المتواجدة في البلاطات الخزفية التي تزين أضلاع المئذنة ويمكن تقسيم هذه العناصر الزخرفية الموجودة بالبلاطات إلى عناصر :

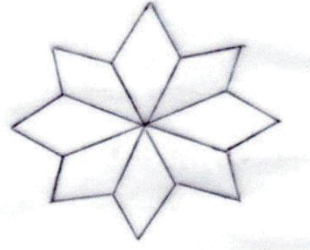
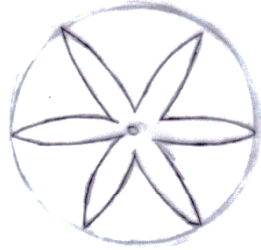
تمثلت في أزهار كزهرة عباد الشمس المحورة ، المعروفة باسم طرنشول ، وهي معربة قديما ، وتطلق على حشيشة العرب أي عباد الشمس السنوي³³ ، إضافة إلى شكل زهرة عادية ذات ست بتلات داخل دائرة أعلى الحنية المفصص أعلى القبة .

وجد في البلاطة التي تزين المئذنة أشكال هندسية ، وهي عبارة عن أوراق ثلاثية الفصوص ، جاءت الورقتان الجانبيتان متساويتي الحجم ، والوسطى جاءت أكبرهم ، إضافة إلى شكل الأشجار ، فقد وجدنا أسفل العقد الذي يزين القبة بجامع سيدي علي مبارك ، شكل لنوع واحد منها ، وهي شجرة السرو ، على شكل ثلاث شجيرات صغيرة ، أكبرهم الشجرة الوسطى ، وكذا بعقد القبة والتي جاءت بحجم كبير وصغير ، وهي من الأشجار التي كثر استعمالها في الزخارف التركبية ، حيث عرفت باسم Selvi ، وتغرس خاصة في المقابر لرائحتها الطيبة ، كما أن لديها مقام وكذا خاص لدى الأتراك ، فهي تعتبر رمز من رموز الخلود لدوام خضرة أوراقها في كل فصول السنة³⁴ ، أو وجدت أنصاف مراوح النخيل .

أما الأشكال الكتابية فوجدناها في الكتابة التأسيسية التي أرخت لتاريخ تجديد المسجد ، إذ نقشت بحروف على لوحة رخامية مقاساتها 60 سم وارتفاعها 55 سم ، وقد جاءت بحروف بارزة ومطلية باللون الأسود ، كما جاء تاريخ التجديد بذكر السنة الهجرية فقط وبالأرقام ، وورد في الكتابة اسم المجدد « مصطفى باشا » وبعض العبارات الدعائية .

كما زينت البلاطات الخزفية بالأشكال الهندسية إذ نجد منها : النجمة المركزية ثمانية الرؤوس (أنظر الشكل رقم 03) ، وقد اتخذت ربع نجمة ، وعند تجميع البلاطات الأربعة التي تحلي المئذنة تتشكل لنا تلك النجمة المركزية .

وجدنا كذلك خطوط مقوسة حددت بها ربع النجمة ، إضافة إلى شكل الدائرة التي بداخلها زهرة أعلى القبة بين الحنية والعقد (أنظر الشكل رقم 04)



الشكل رقم 03 : نجمة مركزية بثمان رؤوس الشكل رقم 04 : دائرة بداخلها زهر

أما الأشكال الرمزية نجدها بالمسجد عنصر واحد منها ، وهو عنصر الهلال الذي يتوج المئذنة ، وهو عادة ما يوضع أعلى القباب والمآذن ، حيث يكون موازيا لاتجاه القبلة ، وقد ظهر لأول مرة مع نجمة سداسية أو خماسية ، وهناك عدة احتمالات لوجود الهلال بالمئذنة فقد يكون تعبيرا لظهور الاسلام ، كما يكون التوقيت الاسلامي الذي يعتمد على ظهوره بالأشهر القمرية³⁵ ، أما في العهد العثماني فقد أصبح الهلال العنصر المميز للإمبراطورية العثمانية ، حيث يزين قبب ومآذن المساجد ، كما يزين معظم مداخل المدن والمباني ، كما اتخذ كعلامة على أجساد الجيش الانكشاري³⁶ .

- خاتمة :

نستنتج من خلال ما عرضناه أن الآثار الاسلامية المادية الثابتة الدينية عموما والتي تمثلت في المساجد ، و هي نواة المدينة الاسلامية ، والتي تعود للفترة العثمانية قد استمد البناة طريقتهم من الطرق التي شاعت أيام الاغالبية والمرابطين و الزيانيين ، فقد هاجر الاندلسيون إلى الجزائر وجلبوا معهم صناعة البناء المنمق مقارنة بالبناء المحلي ، فكان تأثيرهم عظيما في كل أنواع العمائر ، أما الأثر العثماني فقد لمسناه بهذا المسجد من خلال دراستنا له ولبعض مميزاته المعمارية والزخرفية ، والتي تم عرضها آنفا ، فالمسجد الجامع عايش الفترة العثمانية ، فاعتبر كمعلم أثري شاهد على تلك الحقبة الزمنية ، وقد كانت أدلتنا الأولى لهذا كله النصوص التاريخية ، فقد دخل حسن باشا بن خير الدين الذي حكم الجزائر سنة 1544 م منطقة تيبازة ، ليؤسس بلدة القليعة سنة 967 هـ / 1550 م ، وأسكن الحضر وناس من قبائل الساحل ، و المتيجة والنازحون الذين جاؤوا من الاندلس وبعض العثمانيين وأصبحت فيما بعد تعد من أهم أراضي الفحوص³⁷ .

إن المراحل التي مرت بها المنطقة لم تذكر باستثناء الاشارة إلى المنازل التي كونت الحي العربي ومسجد سيدي علي بن مبارك وضريحه الذي يحمل نفس اسم المسجد ، أما الزاوية التي اسسها سيدي علي بن مبارك لطلبة القرآن والفقهاء فلم تعد موجودة والمدينة أخذت شهرة واسعة نتيجة لتوافد العديد من الزوار إلى الزاوية ومن بعدها الضريح إضافة لشهرة هذه الزاوية والمسجد كان

للأندلسيين القاطنين بالمنطقة الأثر في ازدياد شهرة المدينة حيث كانوا يمتهنون مختلف الحرف كالنسيج مثلا³⁸

ووقع بها سنة 1802 م زلزال مدمر أتى على معظم المنشآت في المدينة ، وفي هذه الحادثة يقول أحمد الشريف الزهّار في مذكراته : « ... في القرن السابع عشر الميلادي بين سنة 1717 - 1802 م وقعت زلزلة في الجزائر وعمالتها في اليوم الحادي عشر من رجب وكان يوم الأحد في وسط النهار وتهدمت قرية القليعة ومات بها خلق كثير ، ولما بلغ خبرها للأمير مصطفى باشا رحمه الله ركب من حيثه وذهب إليها بنفسه وأمر بتكفين جميع الأموات وفرق أموالا هناك وكسا كثيرا من الفقراء وأمر بإعادة بناء جامع سيدي علي بن مبارك حيناً ومنارته والزاوية وقال لأهل البلد أنني أبني لأهل البلد ديارهم... »³⁹ .

وفي سنة 1825 م تعرضت المدينة إلى زلزال ثاني عهد حسين باشا 1233 هـ / 1818 م وبه تهدمت العديد من المعالم الأثرية التي تصور لنا الحياة الاجتماعية والاقتصادية في تلك الفترة ، ثم أعيد بناء بعضها زمن الأتراك بإعانة حسين باشا ، والبعض الآخر بني أثناء الاحتلال الفرنسي⁴⁰ ويضيف عبد الرحمان الجيلالي في هذا بقوله : « ...ويومئذ حطم زلزال هائل كلا من مدينة البليدة والقليعة وأعيد إنشاؤها بمساعدة الأتراك وأشرف يحيى آغا على ذلك ... »⁴¹ ، وقد مات فيها العديد من السكان وقد قارب عددهم 385 شخص⁴² .

أما البناءات المتبقية فقد قام المستعمر الفرنسي للأسف إلى تحويلها لبناءات خاصة به وبذلك طمست العديد من طرزها .

وبالرغم من كون المدينة من تأسيس العثمانيين عند دخولهم للجزائر ، كما وقد سكنها من قبل الاندلسيين وما جاؤوا به من حرف إليها مما زاد من شهرتها إضافة إلى موقعها الحصين وشبكة الطرقات التي احتوتها ، كما اعتبرت كنقطة عبور بين مختلف الولايات من مختلف الجهات ، غير أنه لم يمتد عنها من طرف المؤلفين ، وإن تم فيكون تاريخ التأسيس هو تاريخ الزلزال الذي وقع بها ، إضافة إلى وصف بعض المستشرقين العام البعيد عن الدقة والصحة ، إضافة إلى المراجع العربية التي وصفت بها المدينة بشكل مختصر ، وبداية نذكر :

أحمد الشريف الزهّار بقوله : « ...عندما يجتاز الانسان ساحل الجزائر الغني بالبساتين ويترك إلى اليسار سهل المتيجة الخصب يصل فوق طريق جميل إلى القليعة مدينة العرب المقدسة التي كانت قديما مقر لولي شهير وأصبحت مدينة صغيرة يسكنها المستعمرون الفرنسيون ... »⁴³ .

ويقول أحمد توفيق المدني : « ...القليعة بلدة جميلة لطيفة أسسها مهاجرو الأندلس بإعانة الأتراك سنة 1550 م أيام حسن باشا بن بربروس خير الدين وترك عائلة كبيرة ذات نفوذ قوي ، فلما وقعت حوادث الاحتلال انضم شيخ الزاوية سيدي علي بن علال بن مبارك إلى الأمير الحاج عبد القادر وتولى قيادة الجند النظامي الاسلامي وخاض معه الوقائع المختلفة ، إلى أن وقعت

مقاتلة الملاح في عمالة وهران فاستشهد سيدي علال استشهد الإبطال ، وقطعت رأسه ووضعت في جراب من الموت وأرسلت لأتباعه ومرديه بالقلية والجزائر ليتأكدوا من موته وليقع وهن من جراء ذلك....وقد هدمها الزلزال سنة 1825 م.....وقد استولت السلطة الحربية على مسجد سيدي مبارك فجعله مستشفى عسكري وهو مسجد جميل جليل لا يزال على حاله لم يتغير منه شيء وهو مجاور لقبة سيدي مبارك...»⁴⁴ .

ويذكرها نور الدين عبد القادر في قوله « : ...أنشأ حسن الباشا القليعة بالقرب من ساحل البحر سنة 975 هـ / 1550 م غربي مدينة الجزائر.....فسكن بها النازحون الأندلسيون وانتفعوا بمياهها العذبة الصافية وهم أناس ماهرون في شؤون الزراعة والبساتين وبلدة القليعة ضريح الشيخ علي مبارك المتوفي سنة 1040 هـ / 1631 م ولا زال له أعوان معروفون...»⁴⁵

وصف روزيه Rozet مدينة القليعة ومبانيها بقوله : « ...هي محمية من رياح الشمال والغرب أما البيوت فهي عبارة عن أكواخ مبنية من الأعمدة الخشبية والقصب ، و تتموضع الطرقات بانتظام كما نجد بعض الابنية من طابق واحد مكسوة بمادة بيضاء من الجير وهناك بعض المنازل جاءت التغطية فيها بالقرميد ويوجد مسجد الذي على الطرف الجنوبي يلفت النظر وبجانبه الضريح المحاط بحائط من حوله...»⁴⁶ .

ويضيف بيرار Bérard عنها : «... والمدينة محاطة بالاخضرار والينابيع التي تحافظ على الصحة والتي تجري داخل وادي عميق ومتعرج يجري في الجنوب الشرقي ، وقد أطلق عليه أهل البلدة كناية اسم عنق الجمل ومنازلها البيضاء التي يتكون منها هذا الحي العربي الصغير ... »⁴⁷ و كلوزول Cillauzelle : « ... والعرب يرونها مثل الأرض المقدسة والتي وضعوها كملجأ أو مكان تحتمي به في هجماتها ، تتموضع الشوارع على اليمين والمنازل مثل الموجودة في البلدية ، تتكون من طابق أرضي...»⁴⁸ .

أما نييل Niel فيقول : « ... بها سكن ولي صالح في فترة غير محددة ، وأنشأ بها زاويته والتي أصبحت مستشفى في العهد الفرنسي ، والمدينة أقيمت على جنب واد مفتوح من جهة يسمى عنق الجمل وهذا الوادي يسير مجراه حتى واد مزفران...»

ويضيف : « ... إن مدينة القليعة لا تتصور لنا تاريخا خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي وقد أخذت شهرتها من توافد الزوار والحجاج لضريح الولي سيدي علي بن مبارك ، وفي حوالي نهاية القرن الثامن عشر وقع زلزال دمر المدينة من الأساس ، لم يبق سوى ضريح المدينة واقفا كما تعرضت المدينة لزلزال آخر سنة 1825 م والذي ضرب المتيجة وقد تأثرت المدينة بهذا الزلزال...»⁴⁹ .

- الهوامش :

- 1- صديقي (حسين) وآخرين : صديقي (حسين) وآخرين : صديقي (حسين) ، و بن حاصر (اسماعيل) ، وصديقي (جميلة) : تبيازة الولاية ، ترجمة : بوردوز فائزة و عالم مختار ، دار البيازين ، الجزائر 2008 م، ص 52 ، 137 .
- 2- القلعة جمع قلاع وهي برج محصن يقام على مكان مشرف على تلة أو جبل وقد شاع استخدامها في العصور الوسطى لحماية المدينة من أي هجوم ، وقد كان يقوم في ذلك الوقت بوظيفة السكن والحصن انتقل هذا النوع من البناء إلى العمارة الاسلامية المبكرة أنظر : غالب (عبد الرحيم) : موسوعة العمارة الاسلامية ...، ص 391 ، و رزق (محمد عاصم) : معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية ...، ص 24 .
- 3- صديقي (حسين) و آخرين : المرجع السابق ، ص 51 ، 52 ، 137 .
- 4- سعيدوني (ناصر الدين) : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 138 .
- 5- المقري (أحمد بن محمد) التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق وتعليق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ج 6 ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ ، ص 280 .
- 6- الجيلالي (عبد الرحمان) : تاريخ الجزائر العام ، ج 3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 84 ، 85 .
- 7- صادق (محمد الحاج) : مليانة ووليتها سيدي امحمد بن يوسف ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 135 .
- 8- المرجع نفسه ، ص 136 .
- 9 -Ben Ouda (M) : L'université de théologie Sidi Alimebarak , kolea des sicades d'histoires , journal El mojahad , 29 Join 1976 ..
- 10 - Ben Ouda (M) : Op.Cit .
- 11- صادق (محمد الحاج) : المرجع السابق ، ص 137 .
- 12- الجيلالي (عبد الرحمان) : تاريخ الجزائر العام ، المرجع السابق ، ص 282 ، 283 .
- 13- المرجع نفسه ، ص 300 .
- 14 - Bérard (v) : Indicateur général de L'Algérie , Editeur plage .P 224 ; 225 .
- 15 - بن بلة (خيرة) : المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني ، دكتوراه دولة في الآثار الاسلامية ، الجزائر 2007 _ 2008 م ، ص 296 .
- 16 - أصلان آبا (أوقطاي) : فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة : أحمد محمد عيسى ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية ، استنبول 1987 م ، ص 201 ، 202 .
- 17 - بن بلة (خيرة) : المرجع السابق ، ص 150 .
- 18 - Marçais (G) : L'architecture musulmane d'occident Tunisie , Algérie , Maroc , espagnol ; arts et métiers graphiques , P 450 .
- 19 - Golvin (L) : Palais et demeures d'Alger à la période ottomane , Alger 1998 , P 54 .
- 20 - Dokali (R) : Les Mosquées de la Période à Alger , Alger 1974 , P 138
- 21- عقاب (محمد الطيب) : قصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني ، دار الحكمة للنشر 1007 م ، ص 139 .
- 22- رزق (عاصم محمد) : المرجع السابق ، ص 120 .
- 23- المرجع نفسه ، ص 77 .
- 24- بن بلة (خيرة) : المرجع السابق ، ص 429 .
- 25- غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 429 .
- 26 -Ville(M) : Notice sur les gites minéraux et les matériaux de construction de l'Algérie ; éditeur

Paris 1859 , P 45 .

27 - خليفة (ربيع حامد) : الفنون الاسلامية في العصر العثماني ، ط 1 ، مكتبة الزهراء الشرق ، القاهرة 2001 م ، ص 197
28 - لعرج (عبد العزيز) : المبانى المرينية في إمارة تلمسان الزيانية ، ج 2 ، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الاسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر 1999 م ، ص 661 .

29 - أنظر : ابن خلدون (عبد الرحمان) : المصدر السابق ، ص 330 .

30 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 330 ، 331 .

31 - غالب (عبد الرحيم) : المرجع السابق ، ص 120 .

32 - ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 331 .

33 - Dokali (R) : Op .Cit , P 59 .

34 - طيان (شريفة) : الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني ، دراسة أثرية معمارية ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر 2008 - 2009 م ، ص 604 .

35 - ماهر (سعاد محمد) : المرجع السابق ، ص 75 .

36 - مصطفى (صالح لمعي) : المرجع السابق ، ص 26 .

37 - طيان (شريفة) : المرجع السابق ، ص 151 .

38 - Bérard (V) : Op .Cit , P 220 .

39 - الزهار (أحمد الشريف) : مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار نقيب أشرف الجزائر ، تحقيق : أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1974 م ، ص 83 .

40 - Ben Oud (M) : L'université de théologie de sidi Ali Imbarak , Kolea des séides d'histoire , journal el Moujahid ; 29 joins 1976

41 - الجيلالي (عبد الرحمن) : المرجع السابق ، ص 284 ، وأنظر : المدني (أحمد توفيق) : كتاب الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1984 م ، ص 235 .

42 - المرجع نفسه ، ص 237

43 - الزهار (أحمد الشريف) : المصدر السابق ، ص 83 ، وأنظر :

- Isnard (H) : Caractère récent du peuplement indigènes du sahel d'Alger ; in : revue Africaine ; 3-4 trimestre 1936 ; P 206

44 - المدني (أحمد توفيق) : المرجع السابق ، ص 235 .

45 - فون مالتسان (هايتريش) : ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا ، ترجمة : أبو العيد دودو ، ج 1 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 123 .

46 - Rozet (M) : Voyage dans la régence d'Alger ; Tome 3 , Arhusbertand , libraire éditeur , Paris 1833 , P 250 .

47 - عبد القادر (نور الدين) : صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ، من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، نشر كلية الآداب الجزائرية ، مطبعة البعث ، قسنطينة 1965 م ، ص 95 ، 96 ، وأنظر :

- Bérard (v) : .Cit , P 225 -

48 - Clauzolle (P) : L'Algérie pittoresque ; histoire de la régence d'Alger , depuis les temps les plus reoules jusqu'à nos jour ; imprimerie de j .b .paya ; éditeur , Toulouse 1843 , P 108

49 - Bérard (V) : Op.Cit ; P219 ;220 .

- 50 Beeshaf . J, inter preting personality theoers, New york, (1974), Harper and Row.
- 51 Bandura , A. social cognitive theory, an agentive perspective annual review of psychology , (2001), 52 ,p1-26
- 52 Thomas. J. W. and Rohwer. D, the Roll of Learning stratégies, Academic studding, Journal of Educational psychologist, (1986),Vol.21.No, 1and 2, P09.
- 53 عبد المجيد نشواتي، علم النفس التربوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ((1997، ص 206.
- 54 Schunk, D.H ,Self-Regulation of Self-Efficacy and attributions in academic settings, (1994) ,In: D.H.Schunk, and BJ Zimmerman, Self-Regulation of learning and performance: issues and educational application, pp.75-99. Hillsdale, NJ: Lawrence Erlbaum.
- 55 Pajares , F. Current directions in Self-Efficacy research . In M. Maehr & P.R. pintrich (Eds.) Advances in motivation and achievement, (1997) ,(Vol . 10, pp . 1-49), Greenwich, Ct: JAI press.
- 56 Zimmerman. B. J, self regulated and Academic Achievement , An over view. Journal of Education Psychologiste, (1990), NO,25
- 57 Schulte, N. Development And Validation Of A Measure Of Emotional Intelligence, Personality And Individual Différences, (2001) , 25(2), P: 167-177
- 58 غالب المشيخي، قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح لدى عينة من جامعة الطائف، كلية التربية، جامعة أم القرى، السعودية، (2009)، ص 132.
- 59 علي حبايب، جمال أبو مرق، التوافق الجامعي لدى طلبة جامعة النجاح الوطنية في ضوء بعض المتغيرات، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، العلوم الإنسانية، (2009)، المجلد (23)، العدد (03)، ص: 879-857.
- 60 فروجة بلحاج، التوافق النفسي الاجتماعي وعلاقته بالدافعية للتعلم لدى المراهق المتمدرس في التعليم الثانوي، رسالة ماجستير، جامعة تيزي وزو، الجزائر، (2011)، ص 06.
- 61 Bandura , A self-efficacy, The exercise of control , New York , (1997), W.H. Free manand company.
- 62 عادل العدل، تحليل المسار للعلاقة بين مكونات الدرة علي المشكلات الاجتماعية وكل من فعالية، الجزء الأول، العدد 25، (2001)، ص 121.
- 63 زينب شقير، مقياس التوافق النفسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (2003)، ص 04.
- 64 رياض حازم فتحي الدلي، اثر برنامج إرشادي باستخدام أسلوبيين في تنمية التوافق النفسي والاجتماعي لدى طلاب المرحلة المتوسطة، جامعة الموصل، العراق، (2004)، ص 17.
- 65 علي راشد، الجامعة والتدريس الجامعي، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، (2007)، ص 53.
- 66 ذوقان عبيدات، البحث العلمي، أسسه ومناهجه، دار الفكر، عمان، (2009)، ص 247.
- 67 Thomas. J. W. and Rohwer. D, the Roll of Learning stratégies, P09.

- 68 عدنان القاضي، الذكاء الوجداني وعلاقته بالاندماج الجامعي لدى طلبة كلية التربية، المجلة العربية لتطوير التفوق، جامعة تعز، اليمن، (2012)، العدد 04، ص 69.
- 69 حكيمة آيت حمودة، دراسة سمات الشخصية واستراتيجيات المواجهة في تعديل العلاقة بين الضغوط النفسية والصحة الجسدية والنفسية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، (2006)، ص 227.
- 70 زينب شقير، مرجع مذكور، ص 07.
- 71 محمد حسن جابر، السلوك الإيثاري وعلاقته بالتوافق النفسي والاجتماعي ومفهوم الذات لدى طلبة جامعة الموصل، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، العراق، (1995)، ص 246.
- 72 صفاء محمد علي، الكفاءة الذاتية وتفسير السلوك الإنساني، الدراسات الاجتماعية، علم النفس، (2011).
- 73 كمال أحمد النشاوي، فعالية الذات وعلاقتها ببعض سمات الشخصية لدى طلاب كلية التربية النوعية. مؤتمر التعليم النوعي ودوره في التنمية البشرية في عصر العولمة، مصر، جامعة المنصورة، (2006)، ص 478.
- 74 إسماعيل نبيه إبراهيم، عوامل الصحة النفسية السليمة، إيتراك للنشر والتوزيع، مصر الجديدة، (2001)، الطبعة الأولى، ص 147.
- 75 منصور محمد السيد، فعالية الذات وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى معلمي المرحلة الابتدائية بمحافظة أسوان، مجلة كلية التربية، مصر، (2003)، المجلد 19، العدد الثاني، ص 56.
- 76 Bandura. A, self Efficacx mechanismin Human Agency, American Psychologist, (1988),37.2, p 122-147.
- 77 إسماعيل نبيه إبراهيم، مرجع مذكور، ص 152.
- 78 سمية عليوة، نور الدين جبالي، مصدر الضبط الصحي وعلاقته بالكفاءة الذاتية لدى مرضى السكري. مجلة الوحدات للبحوث والدراسات، باتنة، جامعة الحاج لخضر، (2014)، المجلد 7، العدد 2، ص 178.
- 79 Bandura. A, (1988), (p 122-147).
- 80 Lindley, L. D. (2001). Personality, Other Dispositional Variables And Human Adaptability, Unpublished Doctoral Dissertation, Iowa State University.
- 81 Bandura , A , (1997), P83
- 82 كمال أحمد النشاوي، مرجع مذكور، ص 486.
- 83 تاييلور شيلي، علم النفس الصحي، ترجمة وسام درويش بريك وفوزي شاعر وطعمية داود، دار حامد للنشر والتوزيع، الأردن، (2008)، الطبعة الأولى، ص 146.
- 84 سمية عليوة، نور الدين جبالي، مرجع مذكور، ص 178.
- 85 كمال أحمد النشاوي، مرجع مذكور، ص 477.
- 86 حكيمة آيت حمودة، مرجع مذكور.

- 87 حسن العتيبي الزياي، اتخاذ القرار وعلاقته بكل من فاعلية الذات والمساندة الاجتماعية لدى عينة من المرشدين الطلابيين بمحافظة الطائف، رسالة ماجستير، كلية التربية وعلم النفس، جامعة أم القرى، السعودية، (2008)، 152.
- 88 تايلور شيلي، مرجع مذكور، ص 456.
- 89 منصور محمد السيد، فعالية الذات وعلاقتها ببعض المتغيرات الديموغرافية لدى معلمي المرحلة الابتدائية بمحافظة أسوان، مجلة كلية التربية، مصر، (2003)، المجلد 19، العدد الثاني، ص 55.
- 90 Schulte, N. (2001). P: 157
- 91 موزي محمد الجمعة، المهارات الاجتماعية في علاقتها بدرجة الإحساس بالوحدة النفسية عند الطلبة، كلية التربية، جامعة الملك سعود، الرياض، (1996).
- 92 كمال أحمد النشاوي، مرجع مذكور، ص 480.
- 93 سمية عليوة، نور الدين جبالي، مرجع مذكور، ص 178.
- 94 Bandura , A , (1997).
- 95 عبد اللطيف محمد خليفة، المهارات الاجتماعية في علاقتها بالقدرات الإبداعية وبعض المتغيرات الديموغرافية لدى طالبات الجامعة، رسالة ماجستير، كلية الأدب. الكويت، (1996)، ص 18.
- 96 علي عبد الله المزروع، فعالية الذات وعلاقتها بكل من الدافعية للإنجاز والذكاء الوجداني لدى عينة من طالبات الجامعة، مجلة العلوم التربوية والنفسية، البحرين، جامعة أم القرى، (2007)، المجلد الثامن، العدد الرابع، ص 67-89.